العنوان:	تصوير الحياة اليومية من خلال فسيفساء شمال أفريقيا في العصر الروماني: الحيوانات البرية مثالاً
المصدر:	المؤتمر الدولي السابع : الحياة اليومية في العصور القديمة - مركز الدراسات البردية والنقوش - جامعة عين شمس - مصر
المؤلف الرئيسي:	قادوس، عزت زكي حامد
المجلد/العدد:	ج1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
مكان انعقاد المؤتمر:	القاهرة
رقم المؤتمر:	7
الهيئة المسؤولة:	جامعة عين شمس - مركز الدراسات البردية والنقوش
الصفحات:	205 - 236
رقم MD:	836876
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	فن الفسيفساء، العصر الروماني، الحيوانات البرية، شمال أفريقيا
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/836876

تصوير الحياة اليومية من خلال فسيفساء شمال أفريقيا في العصر الروماني (الحيوانات البرية مثالاً)

المقدمة

إن فن الفسيفساء فن عظيم يراه المشاهد فيشد انتباهه ويُسحر عقله، وقد تميز الرومان بهذا الفن فانتشر في بلادهم ونقلوه إلى الولايات التى احتلوها بعد ذلك، ومن هذه الولايات التى نقلوا اليها هذا الفن هى ولايات شمال أفريقيا والتى تشمل تونس وليبيا والجزائر.

لذا فنحن عند حديثنا عن فن الفسيفساء في شمال أفريقيا نتحدث عن هذه الولايات، وقد قمنا بتقسيم هذا البحث إلى **مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث** كانت كالتالى:

المبحث الأول : الفسيفساء في تونس، وقد تم تناوله من خلال عدد من اللوحات هى:

- لوحة فسيفساء ضيعة السيد يوليوس
- لوحة فسيفساء منزل كبار أحد المزارعين
- لوحة فسيفساء غازلة الصوف
- لوحة فسيفساء دار ريفية
- لوحة فسيفساء الجم
- لوحة فسيفساء أورفيوس من أوذنة
- لوحة فسيفساء سباق الخيل
- لوحة فسيفساء المصارعة بين الحيوانات
- لوحة فسيفساء الأسدين

المبحث الثانى: الفسيفساء في ليبيا، وقد تم تناوله من خلال عدد من اللوحات هي:

- لوحة فسيفساء الفصول والمناظر النيلية
- لوحة فسيفساء دارس الغلال
- لوحة فسيفساء معمل الألبان
- لوحة فسيفساء العمل الزراعي
- لوحة فسيفساء المصارعة الدموية
- لوحة فسيفساء عازف القيثارة مع كلبه
- لوحة فسيفساء سباق العربات

المبحث الثالث : الفسيفساء في الجزائر، وقد تم تناوله من خلال:

- لوحة فسيفساء شرشال

المبحث الرابع : الدراسة التحليلية وتناول النتائج .

التمهيد

الموزاييك كلمة أعجمية تقابلها في اللغة العربية كلمة (فسيفساء)، وهي تشير إلى نوع من الفن يقوم بالأساس على تجميع قطع حجرية أو خزفية أو زجاجية صغيرة تعطي في النهاية الشكل المطلوب في صورة متفردة بديعة.

فالفسيفساء هي قطع صغيرة من الأحجار والرخام والجرانيت والبلور والخزف والأصداف والأخشاب تستخدم في تكسية واجهات المباني أو أعمال الزخرفة الداخلية والخارجية والأرضيات، وتتميز الفسيفساء بثبات ألوانها وأشكالها لأنها مواد طبيعية وهي تعتبر من أهم مواد البناء المستخدمة في عمل الديكورات وتزيين المباني.

وقد تمثلت بداية الفسيفساء في نحت أشكال مختلفة من العاج والأصداف يتم تثبيتها على سطح خشبي مغطى بمادة القار، وتطورت هذه الطريقة باستخدام قطع متعددة الأحجام من الطين المحروق، يتم وضعها في قوالب حتى تجف ثم تحرق بالنار في أفران خاصة، وبعد ذلك تلون الأرضيات باللون الأزرق بينما تلون القطع التي تتكون منها الأشكال المختلفة بألوان أخرى، ويتم إدخالها الفرن مرة أخرى في درجات حرارة عالية لتصبح ذات ألوان مزججة، يتم تركيبها جنباً إلى جنب لتكوّن مناظر مختلفة الموضوعات، منها ما يحكي أسطورة أو معركة أو مناظر طبيعية للشمس والقمر وتكوينات نباتية ورسومات للحيوانات والأسماك.

ومن عصر إلى عصر احتل فن الفسيفساء مكانة بارزة في تزيين الجدران والأرضيات برسوم وزخارف متنوعة، وبرع في هذا المجال اليونانيون والرومان الذين انتقل إليهم هذا الفن أثناء حكم الإخمينيين للعراق في القرن السادس قبل الميلاد، حيث كانت تربطهم صلات وطيدة.

وقد تطورت صناعة الفسيفساء بتوسيع دائرة المواد المستخدمة فيها، وكان للعرب قبل الإسلام الفضل في هذا التطوير، حيث استخدموا الألوان المائية في التلوين، وابتكروا أشكالاً زخرفيه غير معهودة في تزيين القصور والمعابد، ومن أشهر هذه النماذج مدينة "مأدبا" أو مدينة الفسيفساء التي تقع في جنوب العاصمة الأردنية عمان، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ٤٥٠٠ عام، وتحوي أكبر وأندر مجموعات العالم من اللوحات الفسيفسائية، ومن أبرزها خريطة فلسطين القديمة في القرن السادس، والتي تمتد من صور في الشمال إلى مصر في الجنوب، وتصور اللوحات الأخرى أشكالاً متعددة للزهور والطيور والحيوانات، بالإضافة إلى مشاهد من الأعمال والحرف كالصيد والزراعة.

ويعد فن الفسيفساء من تقنيات التصوير الجداري التي شهدت تطورا كبيرا على مر العصور من حيث اختلاف وتعدد تقنيات التنفيذ واستخدام الخامات المختلفة نتيجة للطبيعة الجيولوجية ومواردها المتعددة من توافر الزلط والأحجار والرخام... إلخ.(١)

ولقد اتبع الرومان في صناعتهم للفسيفساء ثلاثَ طرق رئيسية، وقد عُثر على نماذج من هذه الأنواع الثلاثة في معظم المناطق الأثرية فى منطقة شمال أفريقيا، يعرف النوع الأول باسم "Opus Tessellatum" وقد كانت اللوحات الفسيفسائية لهذا النوع تصنع من مكعبات صغيرة تمثل موضوعات مختلفة بالإضافة إلى الزخارف

(1) Fiorentinii R. *Et Al* "Mosaic materials, techniques and history" MWEV, Editions, Ravenna, Italy, 2002, PP 18-21

الهندسية وهذا النوع من الفسيفساء من أكثر الأنواع انتشارا، ومن أحسن نماذجه تلك اللوحات التى تمثل النيل التي عثر عليها بفيلا النيل قرب مدينة لبدة.

ويعرف النوع الثانى باسم "Opus Sectile" وكانت اللوحات الفسيفسائية التى تنفذ على هذه الطريقة تتكون من مزيج من مكعبات الفسيفساء والقطع الرخامية الكبيرة ومن أحسن نماذج هذا النوع فى ليبيا اللوحة التى تمثل الفصول الأربعة المعروضة بالمتحف الجماهيرى.

ويعرف النوع الثالث باسم "Opus Vermiculatum" وقد كانت اللوحات الفسيفسائية تصنع من هذا النوع عن طريق مكعبات فسيفسائية صغيرة جداً يكاد يصل حجمها ١مم تكون مصنوعة من الرخام بالإضافة إلى قطع أخرى تكون مصنوعة من عجينة زجاجية.

وهذا النوع الأخير يعتبر من أدق أنواع الفسيفساء بالإضافة إلى ذلك فإن اللوحة الفسيفسائية من هذا النوع تكلف أثماناً باهظة، وأحسن ما يمثل هذا النوع لوحة أورفيوس التي عثر عليها بإحدى الفيلات الرومانية بالقرب من مدينة لبدة(١).

الفسيفساء فى شمال أفريقيا(*)

اشتق اسم قارة أفريقيا من اسم قبيلة تدعى أفري، والتي كانت تعيش قرب منطقة قرطاج في العصور القديمة، وكان الرومان يطلقون اسم 'أفريقيا' للدلالة على المنطقة التي تعرف اليوم بتونس.

وقد بدأ أول تدخل للرومان في أفريقيا خلال الحروب البونيقية، حيث قامت روما بمحاولة فاشلة لاحتلال شمال أفريقيا خلال الحرب البيونيقية الأولى، ولكنها لم تتمكن من التغلب على قرطاج نهائيا إلا خلال الحرب البونيقية الثالثة، والتي أدت في عام ١٤٦ قبل الميلاد إلى التدمير الكلي لقرطاج وسكانها، فيما سماه بعض المؤرخين "إبادة جماعية" خلال العصر القديم.

وبتدمير قرطاج، استولى الرومان على الجزء الشمالي من تونس الحالية وسموها "أفريقيا القنصلية"، لأنها كانت منطقة تتم إدارتها من طرف قنصل روماني، وبما أن قرطاج دمرت عن آخرها، قام الرومان باختيار مدينة فينيقية كبيرة أخرى كعاصمة لأفريقيا القنصلية هى أوتيكا، واحتفظ عدد من المدن الفينيقية المتبقية في شمال أفريقيا وممالك مثل مملكة نوميديا، باستقلال صوري خلال عهد الجمهورية الرومانية(٢).

لكن، وخلال فترة الحروب الأهلية التي ستؤدي إلى زوال الجمهورية وإنشاء الإمبراطورية الرومانية، وقفت مملكة نوميديا إلى جانب الأوبتيماتيس الجمهوريين ضد يوليوس قيصر، ولقد أدى هذا بالأباطرة الرومان إلى أخذ زمام الأمور في حكم أفريقيا. قام يوليوس قيصر بإضافة سيرتا وجزء كبير من نوميديا إلى أفريقيا القنصلية، وقام الإمبراطور تيبريوس بإضافة طرابلس (ليبيا الحالية)، وبحلول فترة الأربعينات بعد ميلاد المسيح، كانت كل سواحل أفريقيا المطلة على المتوسط خاضعة للحكم الروماني. وفي العام ٤٢ بعد الميلاد، قام الإمبراطور كلوديوس بتقسيم المنطقة في غرب أفريقيا القنصلية إلى منطقتين جديدتين عرفتا بموريتانية القيصرية وموريتانية الطنجية.

وبمرور الوقت، تم تقسيم أفريقيا الرومانية إلى عدة مناطق أخرى، في العام ١٩٣ بعد الميلاد، جعل سيبتموس سيفيروس المنطقة النوميدية في غرب أفريقيا القنصلية منطقة جديدة، وخلال عهد الإمبراطور دقلديانوس، طرأ

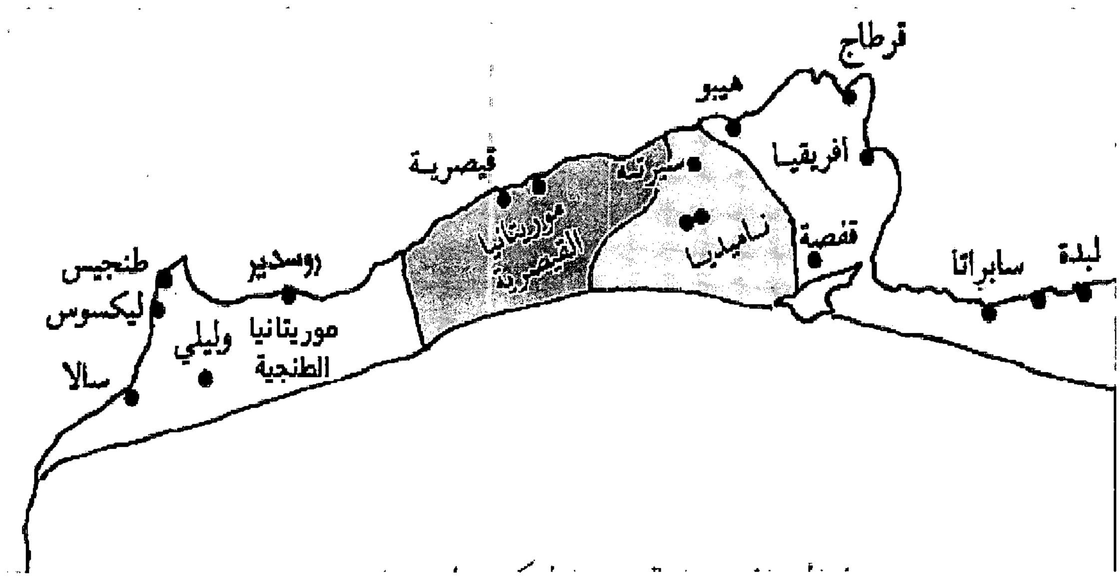
(1) Ling, R. "Ancient mosaics" British Museum Press, London 1998, PP 79-80.

(*) في هذا الصدد أشكر تلميذي/ حسن محمد حسن محمد بشأن تجميع المادة العلمية لهذا البحث.

(2) Raven, S. (1993) Rome in Africa. Routledge, London.

تقليص كبير في مساحة بعض من أكبر الجهات الخاضعة لروما، وذلك للتقليل من قوة الحكام المحليين، وهكذا أصبح عدد المقاطعات في شمال غرب أفريقيا ثمانية بدل أربع[1].

وتزخر منطقة شمال أفريقيا بنماذج عديدة ومتنوعة من الفسيفساء في العصر الروماني، وشمال أفريقيا فى العصر الرومانى (شكل١) تشمل ولاية أفريقيا (تونس حاليا)، وولاية تريبوليتانيا (ليبيا حاليا)، ثم ولاية نوميديا (الجزائر حاليا)، والكمية الكبرى من الفسيفساء موجودة بتونس وكلها ذات جاذبية سحرية.



(شكل ١)

خريطة شمال أفريقيا في العصر الروماني

المبحث الأول: فسيفساء من تونس

تعتبر مجموعة الفسيفساء التونسية من أهم المجموعات الفسيفسائية في العالم الرومانى سواء ما هو موجود منها اليوم فى المتاحف، أو الذى لم يزل بعد في الأماكن الأثرية[2].

والكمية الأكبر من تلك اللوحات الفسيفسائية الموجودة بتونس محفوظة بمتحف باردو حيث أنه يضم أكبر مجموعة فسيفساء رومانية في العالم، وقد اكتسب المتحف الوطني بباردو شهرة عالمية بفضل مجموعة الفسيفساء التي يمتلكها والتي تعد الأكثر تنوّعا وتفنّنا في العالم، ولعلّ أحسن ما يمثّلها اللوحات التي رُسم فيها الشاعر فيرجيل تحيط به ربات الفن، والتبليط الذي يمثّل ديونيسوس وهو يهدي الكرم إلى إيكاريوس أو ذلك الذي يشيد بانتصار نبتون، وما هذه إلاّ بعض اللوحات الرائعة لكنّها ليست ثروة المتحف الوحيدة.

ونحن عند حديثنا عن الفسيفساء في تونس سنأخذ بعض الأمثلة لبعض اللوحات الفسيفسائية المكتشفة بتونس والموجودة حاليا بمتحف باردو بتونس، ومن هذه اللوحات:

(1) MacKendrick, P.L. (2000) The North African Stones Speak. University of North Carolina Press, North Carolina.

(٢) المنجى النيفر، الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٦٩، ص ١٦.

١- فسيفساء ضيعة السيد يوليوس:

وهى عبارة عن لوحة فسيفساء للسيد يوليوس (شكل٢)، ومصور معه أيضا رموز لفصول السنة الأربعة، وهذه القطعة اكتشفت فى قرطاج بتونس عام ١٩٢٠ ميلادية فى أطلال منزل خاص، وتؤرخ بـ ٣٨٠ – ٤٠٠ ميلادية، ومحفوظة الآن بمتحف باردو بتونس.

وتعتبر هذه القطعة خير مثال على المنازل الريفية التى أقيمت بمنطقة شمال أفريقيا، كما تعتبر من أبرز القطع التي عنيت بتصوير مظهر من مظاهر الحياة الإقتصادية.

وهذه اللوحة مقسمة إلى ثلاثة صفوف أفقية متساوية في الأحجام، ففي اللوحة الوسطى يظهر منزل ريفي يجمع بين كونه منزل وقلعة حيث يوجد على جانبي المنزل برجين شاهقين، بالإضافة إلى دور أرضى ضخم ذو مدخل عقدى يوصل إلى جوانب المنزل المختلفة، ويظهر خلف المنزل نخلة، ونجد الرائد وحوله مجموعة من كلاب الصيد، كما نجد السيد يمتطي جواده، كما نجد منظر جنى الزيتو ن من على الأشجار، كما صور الفنان الراعى الذى يراقب غنمه فى هدوء وقد تركها ترعى حوله بحرية وأمسك ببوق الرعاة فى يده اليسرى حتى يستخدمه فى النداء على أغنامه، بالإضافة إلى كلبه الأمين الذى يعاونه فى الحفاظ على الأغنام، كما تظهر امرأة تحمل جديا ولعلها تكون زوجة الراعى أو ابنته.



(شكل ٢)

فسيفساء ضيعة السيد يوليوس

أما الجزء السفلى من اللوحة فنرى فيه سيدة الدار كمنظر رئيسى، بالإضافة إلى صاحب الضيعة الذى اهتم به الفنان، ونرى بجوار سيدة الدار كلبها وأمامها خادمتها، كما نرى أمام سيدة الدار أيضا غلاما يضع ثلاث سمكات عند قدمه، ومنظر سيدة الدار هذا يمثل فصل الربيع، أما فصل الخريف فيمثله صاحب الضيعة الذى

يظهر فى الجزء الآخر من المنظر السفلى حيث نراه تحت الأشجار المثمرة جالسا فى بستانه ، وأمامه رجل يحمل اثنين من طيور الكراكى فى يد وفى اليد الأخرى بطاقة ، كما نرى رجلا آخر يحمل سلة من العنب ، كما نرى خلف صاحب الضيعة رجلا آخر يحمل سلة من العنب فى يد وفى يده الأخرى يحمل أرنبا تريد الفرار(١).

ومن الحيوانات التى ظهرت فى هذه اللوحة :

الكلب الذى كان يلعب دورا كبيرا فى حياة أهل الضيعات فرأيناه مدللا مع سيدة الدار ، كما رأيناه يحرس الأغنام ، ورأيناه فى رحلة الصيد مع صاحب الضيعة .

وقد ظهر **الحصان** فى رحلة الصيد وظهر ملونا جميلا يظهر بحركة رشيقة وكأنه يتراقص على أنغام موسيقى .

كما ظهر باللوحة **الماعز والأغنام** وهى ترعى حول الراعى ، وتظهر عنزة بوضوح مع زوجته التى تحملها لتقدمها كهدية ، كما ظهرت عنزة أخرى تقترب من شجرة .

أما **الأرانب** فقد تعددت الأغراض التى احتاجها فيها الإنسان وقد ظهرت فى اللوحة مرة كفريسة يسعى صاحب الضيعة ورجاله وكلابه للإمساك بها ، كما رأيناها وهى تُقدم كهدية من أحد الرجال إلى صاحب الضيعة(٢).

٢- فسيفساء منزل أحد كبار المزارعين من طبرق(*):

وهى عبارة عن لوحة لمسكن أحد كبار المزارعين (شكل٣) حيث يعكس هذا المنظر مسكن لأحد كبار المزارعين وسط حديقة غناء جميلة مليئة بالطيور المختلفة والأشجار المثمرة، وهو مؤرخ بأواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادى، وهو محفوظ الآن بمتحف باردو بتونس، حيث ظهر المنزل في وسط المنظر وحوله الأشجار البديعة والأزهار الجميلة والنباتات الخضراء، بالإضافة إلى الطيور ذات الألوان الزاهية التى تضيف رونقا وحيوية على المنظر.

---

(١) عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني – المناظر الطبيعية، ماجستير فى الآثار اليونانية والرومانية، ملتقى الفكر، الإسكندرية ١٩٩٨، ص ٢٥٣ : ص ٢٦٥

(٢) عبير قاسم، المرجع السابق، ص ص ٢٧٥ – ٢٧٦

(*) طبرقة هى مدينة تونسية تقع فى شمال غرب تونس على ساحل البحر المتوسط



(شكل ٣)

فسيفساء منزل أحد كبار المزارعين من طبرق

ويتضح لنا أن هذه القطعة تعكس حياة يبدو أنها كانت حياة ريفية ، كانت تتميز بالهدوء والألفة وهو ما نستشعره من خلال كل جزء من أجزاء هذه القطعة.

وبالرغم من ذلك فإن الفنان لم يستطع أن ينجح في تحقيق عامل المنظور فظهرت كل الأشياء بحجم واحد دون مراعاة لما هو موجود في الأمام أو الخلفية(١).

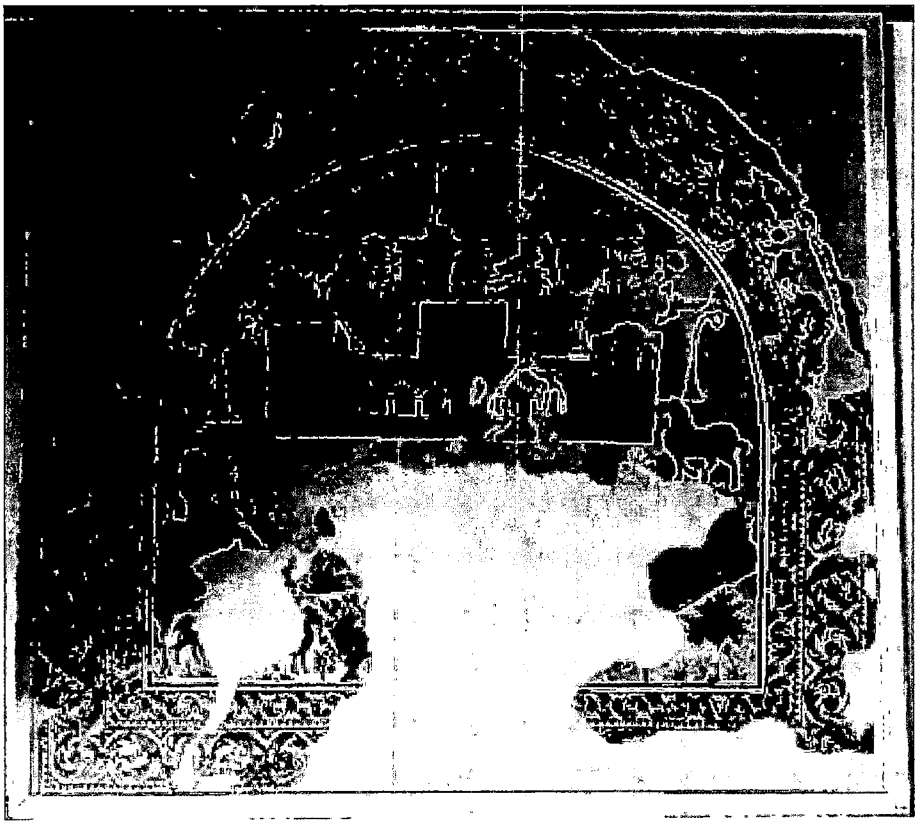
وأكثر ما يدهش فى هذه اللوحة الطيور التى نرى الفنان قد اعتمد عند تصويرها على عامل السيمترية بشكل حاد وأساسى بمعنى أنه لا يظهر طائر على اليمين إلا ويقابله آخر على اليسار، فنرى أمام الدار إثنتين من الأوز بيضاء اللون واحدة على اليمين وأخرى على اليسار، كما نرى بجوارهما بطتين واحدة من كل جانب(٢) .

٣- فسيفساء غازلة الصوف:

محفوظة بمتحف باردو (شكل٤)، وتؤرخ بأواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادى، وقد عثر عليها في طبرقة، ولهذه اللوحة أهميتها العظيمة رغم وجود بعض الضرر بها وافتقاد بعضا آخر .

(١) المنجى النيفر، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢) عبير قاسم، مرجع سابق، ص ٢٨٣.



(شكل ٤)
فسيفساء غازلة الصوف

وهذه اللوحة تصور غازلة الصوف وهى ترعى **قطيعاً من الخراف**، وتقوم بغزل الصوف فى نفس الوقت، كما نرى أيضا زراعة الكروم بين أشجار الزيتون ، كما نرى فى اللوحة بناءات المزرعة المختلفة من اصطبلات ومخازن كما نرى حدائق الكروم فى أقصى الصورة[(١)].

ويظهر فى المنظر بناء كبير يبدو أنه عبارة عن اسطبل للخيول ومخازن وهذا الإسطبل يتميز بالحجم الكبير الفخم ، وهو مبنى مستطيل الشكل له برجان فى ركنين من الأركان الأربعة .

والحصان الذى يظهر باللوحة يظهر وحيدا وهو يتميز بالفحولة والجسم القوى الضخم ذو اللون البنى الداكن مما يزيد من قوة وضخامة شكله ، وهذا الحصان يبدو عليه مظاهر الحركة الواضحة من خلال قوائمه المتباعدة ، ويبدو وكأنه يسير بتمخطر على أنغام موسيقى الطبيعة مما جعله يتهدل ويتراقص معه ذيله ذو الشعر الأسود الطويل المسترسل[(٢)] .

وهذه اللوحة لها أهمية كبيرة فى أنها تظهر زراعة الكروم وأشجار الزيتون وتربية الخيول والأغنام .

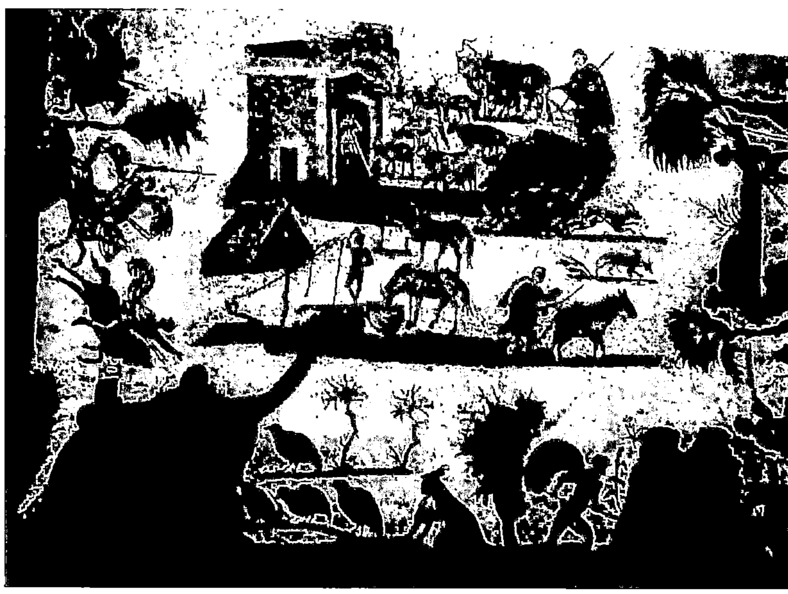
---

(١) المنيجى النيفر ، مرجع سابق ، ص ٣٦

(٢) عبير قاسم ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨

٤-فسيفساء لدار ريفية من أوذنة(*)

وقد عثر على هذه اللوحة (شكل٥) فى أطلال دار ريفية كانت تقع فى جوار مدينة أوذنة أو كما عرفت قديما باسم (أوتينا) بتونس، وقد كانت هذه القطعة تزين أرضية واحد من أفنية أو ساحات الدار التى تعرف باسم الأتريا .



(شكل ٥)

فسيفساء دار ريفية من أوذنة

وتعكس هذه القطعة مشاهد من الحياة الريفية البسيطة حيث تظهر أنشطة ريفية كالحرث **ورعى الأغنام وتربية الحيوانات** وبئر وخيام وغيرها من المناظر المرتبطة بالريف، حيث يظهر فى المنظر منزلا قرويا أو جرنا وعلى بابه يقف رجل يحتمل أن يكون الراعى وهو ينظر إلى **القطيع** الذى يقترب من الدار وهو يتكون من **ماعز وضأن وثيران** بينما يجرى **كلبان** فى الإتجاه المضاد عبر الحقول ، وأعلى هذا الجزء رجل يقوم بالحرث مستخدما **بعض الثيران** وبجوار المنزل بئر يشرب منه **حصان** وبجوار **هذا الحصان حصان** آخر مربوط فى وتد بين البئر والمنزل ، وعلى اليمين رجل يسوق **حمارا** ، وعلى جهتى المنظر رجال **وحيوانات**[1].

وقد عمد الفنان على ترتيب المشاهد المراد تصويرها فى سطور أو صفوف مركبة، وقد ظهرت هذه الطريقة فى أفريقيا لأول مرة، وهى عبارة عن منظر رئيسى وحوله المناظر الفرعية.

(*) تقع مدينة أوذنة، أوتينا القديمة، الواقعة على الطريق الرومانية التي تصل قرطاج بتوبربومايوس مرورا بمكسولا (رادس)، على بعد حوالي ثلاثين كيلومتر من الناحية الجنوبيّة الغربيّة لمدينة تونس

(١) رستوفتزف ، م. ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإجتماعى والإقتصادى ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، ج٢ ، ص ٢٢٩

والمبنى يأخذ الشكل الجمالونى بعض الشيء ، وأغلب الظن أنه كان حظيرة للمواشى وجرنا للدار ، وليس منزلا لأحد المزارعين .

أما مناظر الحيوانات البرية من القطيع من الماعز والضأن والثيران ويتراوح عددهم ما بين ستة وثمانية رؤوس وألوانها هادئة بها ألوان بنى وبيج وذهبى وكلها تتجه صوب الحظيرة ، ولقد كانت تربية الأغنام والماشية من عصب أعمال الفلاحة والحياة فى الضيعات ، حيث كانت لهذه الحيوانات عائدتها الوفيرة على الإقتصاد فتكونت حول الضيعات صناعات عديدة كصناعة الخزف وصناعة الجلود وغيرها(١).

ويظهر فى اللوحة أيضا المحراث الذى يقوم على حراثة الأرض ، حيث نجد الرجل الذى يقوم بحرث الأرض المزروعة بالقمح من خلال المحراث الذى يجره الثيران ، وتظهر **الثيران** قوية وهى التى تتحمل مشاق عملية الحرث ، ويظهر الفلاح الذى يرتدى الثياب التى تبدو سميكة وثقيلة ويمسك بيده عصا كبيرة ليدفع بها الثيران إذا ما أرادت أن تتهاون فى أداء عملها ، **والثوران** اللذان يجران المحراث الأمامى منهما لونه بنى داكن أما الخلفى فهو بنى ولكن ليس داكناً وتتضح عليهما الضخامة والقوة البارزة(٢).

وقد تميزت **الخيول** الموجودة بالمنظر بالجسم ذو اللون البنى الفاتح الذى يميل إلى الطوبى مع الشعر الأسود الناعم، أما **الحمار** الذى يظهر مع أحد الفلاحين فهو أسمر اللون قوياً ويبدو أن ظهره كان ينوء بالأحمال التى وضعها الرجل فوقه فهو يسير بتؤده وهدوء نحو الحق ، أما **الكلبان** اللذان يظهران فهما يجريان فى الإتجاه المضاد ربما للتوغل نحو الحقول أو ربما يبحثان عن عنزة شاردة أو ربما يتحركان فى المنطقة لحماية القطيع ، وقد تميزت هذه الكلاب باللون البنى الفاتح مع الجسم النحيل والوبر البسيط .. وقد كان الكلب بشكل عام كثير الوجود بلوحات الفسيفساء من أجل حراسة المنازل وقطعان الأغنام فى المراعى(٣).

كما نرى بالمنظر **خنزيراً** تبدو عليه القوة فقد كان يقاوم بعنف وبمنتهى الشراسة على الرغم من الصخور والمستنقعات التى تحيط به والتى يحاول أن يخرج منها دون جدوى وأمامه كلب يريد أن يقفز عليه(٤).

٥- فسيفساء الجم (*):

وقد عثر على هذه اللوحة (شكل٦) فى أطلال منزل رجل غنى بالقرب من منطقة الجم وهى محفوظة الآن بمتحف باردو بتونس ، وكانت هذه اللوحة تصور منظر صيد بأفريقيا ، وقد رتبت المناظر فيها فى ثلاثة صفوف، وكانت تصور رجلين يمتطيان **حصانين** ويسيران ببطء خلف مزرعة من الزيتون ، بالإضافة إلى منظر خادم يمسك بزمام **كلبين** فارعين على وشك أن يطلقهما على **أرنب برى** وجده كلبان آخران مختبيء في شجيرة، فقد كانت مناظر الصيد محببة الى النفوس كالمناظر الطبيعية(٥).

---

(١) المنجى النيفر، المرجع السابق ، ص ص ٤٢ – ٤٤

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٢-٤٢

(٣) المنجى النيفر، المرجع السابق ، ص ٤٤

(4) 16- M'hamed Hassien Fanter ., Mosaique in Tunisie , les editions de la mediterranee , Paris 1982, p. 98

(*) والجم بلدة كانت تقع شرق تونس ، وهى تقع الآن بين سوسه وصفاقص ، وتعتبر بمثابة سوق تجارية كبيرة ، وبها العديد من المنازل الخاصة الضخمة والفخمة الغنية بالفسيفساء وترجع إلى القرن الثانى والثالث قبل الميلاد.

(٥) رستوفتزف، م .، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٧٧

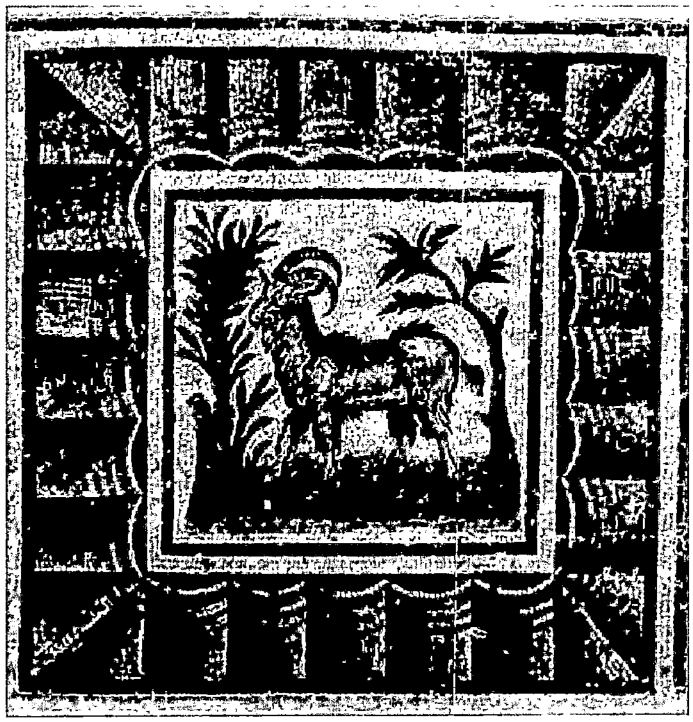


(شكل ٦)

فسيفساء الجم

كما وجد بالجم أيضا لوحات أخرى، ومنها هذه اللوحة التى كانت عبارة عن أرضية فسيفسائية بداخل الدار وهى مؤرخة بالقرن الثانى بعد الميلاد، وهى تصور وعلا بريا بين الأشجار (شكل٧)، وتظهر معالم القوة والفحولة على هذا الوعل حيث تظهر القرون القوية الملتوية الى الخلف، والعضلات المفتولة التى تظهر على أنحاء جسده بالإضافة الى الذقن والشعر الكثيف بالإضافة الى نظراته القوية[1].

(1) M'hamed Hassien Fanter., op., cit., p.99.



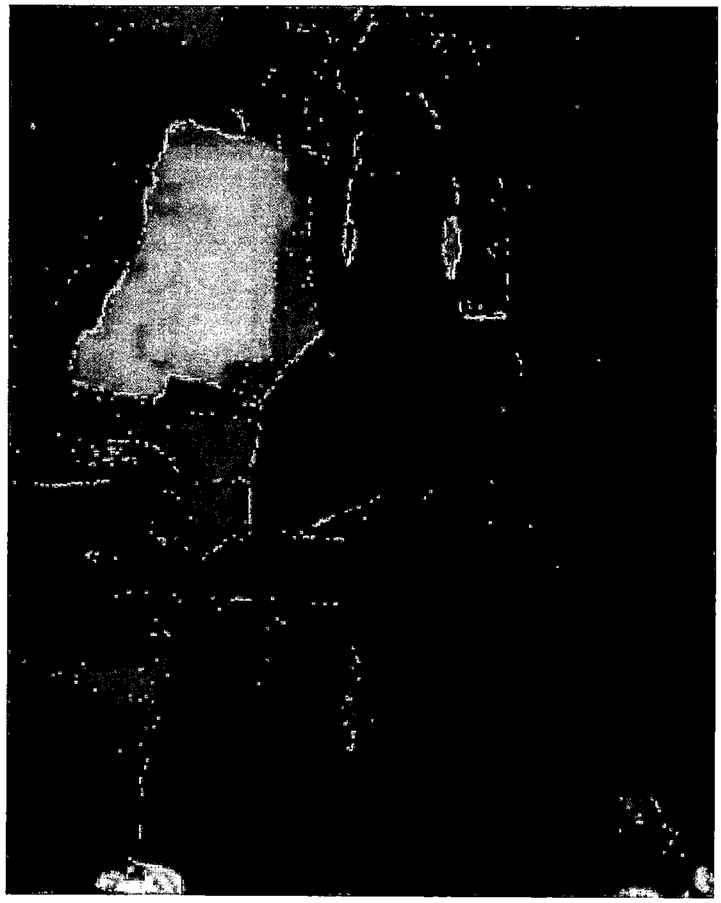
(شكل ٧)

وعلا بريا بين الأشجار

٦- فسيفساء أورفيوس من أوذنه بتونس:

وكانت هذه اللوحة بمدينة أوذنة (شكل ٨أ)، وقد اكتشفت بالحمامات الخاصة بمنزل عائلة لأبيروس، وهى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى ومحفوظة حاليا بمتحف باردو بتونس، وفيها أورفيوس وهو يعزف على القيثارة جالسا فى ظل صنوبرة وقد **أحاطت به حيوانات مختلفة** ، وهناك عدد من الحيوانات على يمينه ومثلهم على يساره حيث يظهر **أسد ضخم** الجسم قوى المخالب وقد اقترب فكه من نباتات صغيرة، ويلى الأسد **نمر** ظهر واقفا وكأنه يراقب ما يحدث أمامه وظهرت عليه ملامح القوة والدهاء والخطورة ، أما الحيوان الثالث فهو **الوعل** وقد ظهر واقفا بطريقة جانبية ، كما ظهر حيوان رابع وهو واقف وتظهر على ملامحه الشموخ والكبرياء ، وأمام الحصان يظهر قرد صغير ذو ذيل طويل ورفيع ويجلس يستمع لأورفيوس بانتباه(١).

(١) المنجى النيفر، مرجع سابق، ص ١٢٥.



(شكل ٨أ)

فسيفساء أورفيوس– أوذنة

وعلى الجانب الأيسر صف من الحيوانات نرى فيه **الفهد** الذى نرى كأنه يستعد للوثب على فريسة ولكن أوقفته أنغام أورفيوس ، كما يظهر **الدب** وهو ضخم وله آذانا قصيرة وفك قوى وينظر إلى أسفل وكأن ألحان أورفيوس قد سحرته ، ثم نرى **غزالة أو عنزة** بقرون رفيعة ، ثم نجد **بقرة** وهى تقف فوق القاعدة المعتادة وقد تميزت بجسم ضخم وقرون قصيرة ، ثم نرى الطيور تقف على شجرة وهى تستمع للألحان ، وهناك العديد من النسخ لهذه اللوحة (شكل ٨ب) و(شكل ٨ج).

وتعتبر هذه اللوحة من أشهر القطع فى هذا الموضوع ، فهى الأكثر شعبية وانتشارا ، وقد حاول الفنان تحقيق السيمترية إلى حد كبير فى اللوحة حيث نجده قد صور عددا من الحيوانات على اليمين يساويها عدداً آخر من الشمال ، بالإضافة إلى أنه قد صف الحيوانات فوق بعضها وكل واحد منهما يقف على ما يشبه القاعدة .



(شكل ٨ب)

نسخة أخرى من فسيفساء أورفيوس

فبالنسبة **للأسد** الذى على اليمين نراه يجلس فى سكون وهدوء وهو يستمع للأنغام وألحان أورفيوس بالرغم من أنه كان يظهر عليه التحفز والتأهب، ويبدو عليه أنه ضخم الجسم قوى المخالب فظ القوائم غزير الشعر طويل الذنب وقد اقترب فكه من بعض النباتات الصغيرة الموجودة أمامه.

ويلى الأسد **نمراً** ضخماً، وقد ظهر واقفاً وكأنه يراقب ما يحدث أمامه وقد تميز بالشعر الأرقط الجميل وقد اهتم الفنان بتصويره بدقة ، وقد ظهرت عليه بوجه عام ملامح القوة والدهاء.

أما الحيوان الثالث الذى يلى النمر باللوحة فهو **الوعل** الذى ظهر واقفا بصورة جانبية، وكأن وجهه يلتفت ألى أورفيوس، وقد أبدع الفنان فى تصوير قرون الوعل وقوائمه الرفيعه وذنبه القصير.

ويظهر أمام الوعل من الناحية الأخرى **حيوانا بريا يبدو وكأنه غزالة أو عنزة** ويتميز هذا الحيوان بالقرون الطويلة الرفيعة وقد جلس فى هدوء واستكانه وهو يستمع لألحان أورفيووس.

أما الصف الأخير من اللوحة فيظهر فى اليمين **حصان** واقفا فى شموخ وكبرياء وبدت رقبته ضخمة وقوية تتناسب مع حجم الرأس والبطن.

وأمام هذا الحصان نرى **قرداً صغيراً** ذو ذيل رفيع وطويل وقد جلس ينصت فى انتباه شديد لألحان أورفيوس، وهو الحيوان الوحيد الذى ظهر فى اللوحة بدون قاعدة ، ويقابل الحصان فى جهة اليمين **بقرة** وهى تقف فوق قاعدة وقد تميزت بالجسم الضخم والقرون القصيرة مع الذنب الرفيع والقوائم الثابتة(١).

---

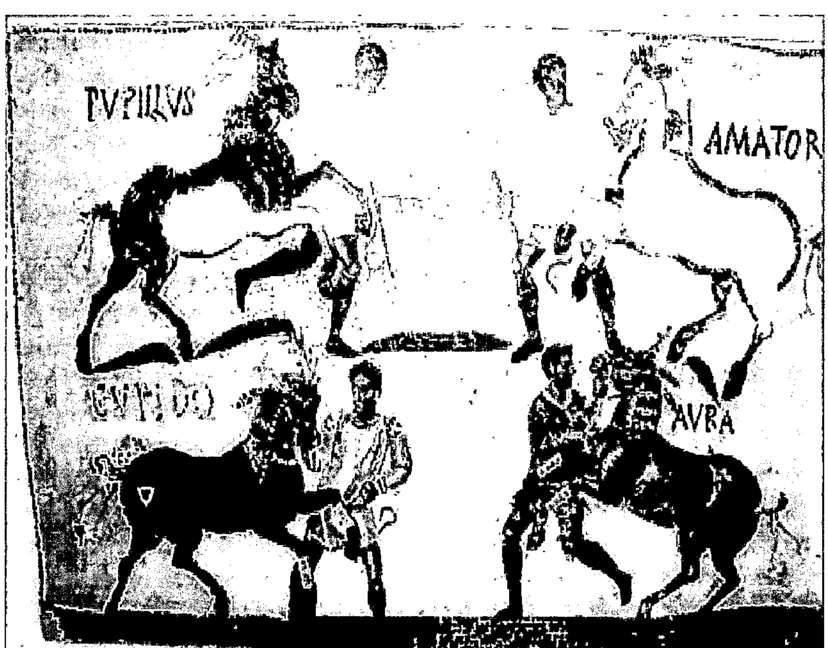
(١) عبير قاسم، مرجع سابق، ص ٣٤٨.



(شكل ٨ ج)

نسخة ثالثة من فسيفساء أورفيوس

٧- فسيفساء سباق الخيل من سوسة بتونس:



(شكل ٩)

فسيفساء سباق الخيل بسوسة

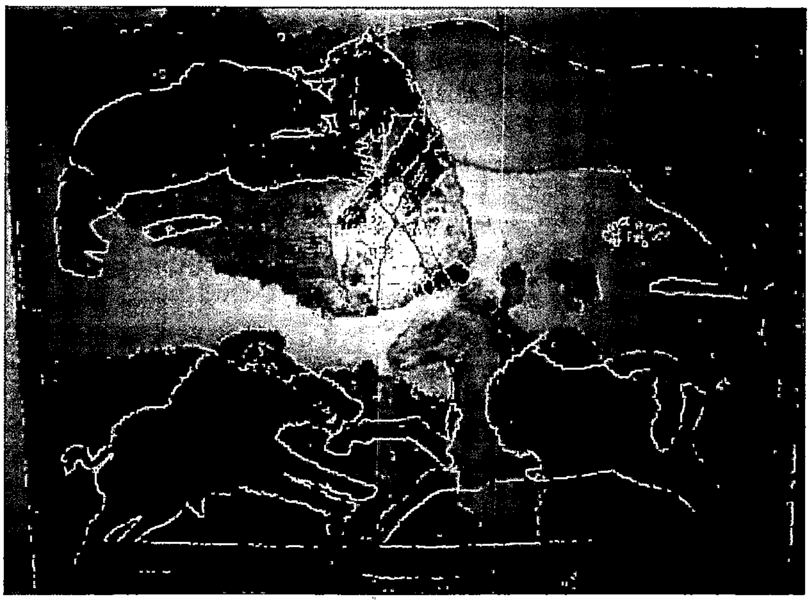
وقد وجدت هذه اللوحة (شكل٩) بمدينة سوسة بتونس، وهى ترجع الى بداية القرن الثالث الميلادي، وهذه اللوحة الفسيفسائية تصور في جزئين مشهدا من ملعب سباق الخيل، حيث تظهر أربعة خيول منتصرة تحمل أسماء

وتنتمي إلى أربع جمعيات مختلفة مشرفة على سباقات الخيول وتعرف كل واحدة بلون متميز وتُظهر هذه اللوحة أن الحصان بوبيلوس يمثل الأزرق وكوبيدو الأخضر ويمثل أماتور الأبيض ويمثل أورا الحصان الأحمر.

وتظهر الخيول قوية ورشيقة ذات جسم ممشوق وشعر ناعم طويل رافعة أرجلها الأمامية ومرتكزة في الوقوف على الأرجل الخلفية مما يدل على نشوتهم وفرحتهم بالإنتصار .

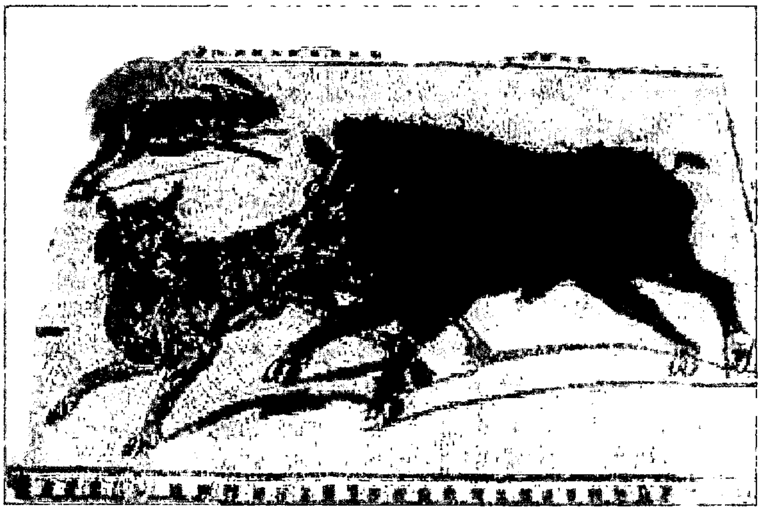
ومن الجدير بالذكر أنه توجد لوحة فسيفسائية أخرى تمثل سباق العربات عثر عليها فى مدينة قرطاجة وهى معروضة حاليا بمتحف باردو بتونس، وقد عثر على لوحة أخرى مرسومة عن طريق "الفرسكو" تمثل سباق العربات، وتوجد حاليا بمقبرة "ألبا اريسوت" غوط الشعال بطرابلس.

٨-فسيفساء المصارعة بين الحيوانات بسوسة:



(شكل ١٠أ) فسيفساء المصارعة بين الحيوانات بسوسة

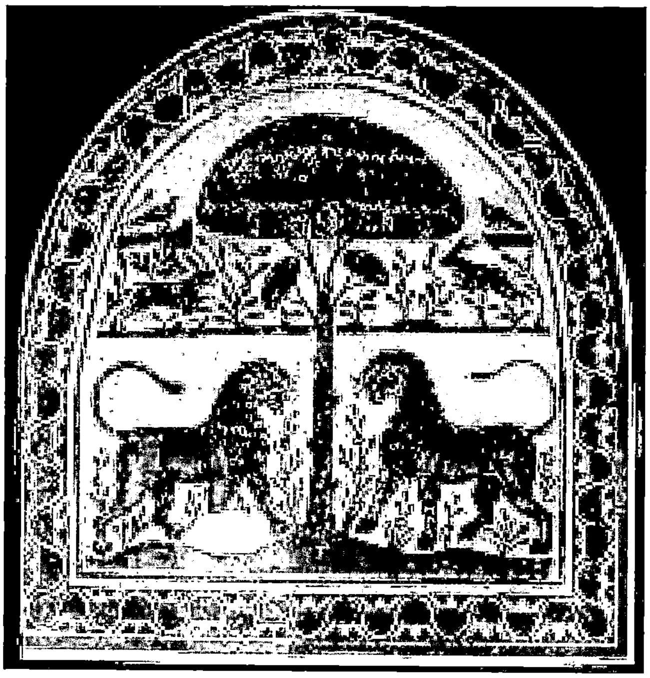
وقد وجدت هذه اللوحة (شكل١٠أ) بداخل دار رومانية بمدينة سوسة بتونس أواخر القرن الثالث الميلادي، وتظهر هذه اللوحة مشهد يتكون من جزئين يبين المصارعة بين حيوانات الملعب المدرج، حيث يظهر في الجزء العلوي الصراع بين ثور ودب ويظهر على الحيوانين الشراسة والعنف الذى يظهر على ملامحهما من خلال المخالب القوية والعضلات المفتولة وأرجلهم الأمامية المرفوعة في مواجهة بعضهما، كما يظهر في الجزء السفلى الصراع بين خنزير ومهر ويظهر الخنزير في صورة شرسة في مواجهة المهر الذى يظهر بصورة تدل على قوته وحيوته، كما يوجد بمتحف باردو بتونس لوحات فسيفسائية لمناظر أخرى للصراع بين الحيوانات (شكل١٠ب).



(شكل ١٠ب) المصارعة بين الحيوانات – متحف باردو بتونس

٩- فسيفساء الأسدين بتونس:

وهي لوحة فسيفسائية (شكل١١) تعود إلى القرن الثاني الميلادي وهي موجودة حاليا بمتحف باردو بتونس، وتصور **أسدين** متقابلين وبينهما شجرة، ويظهر الأسدان وكل منهما فى استعداد للإنقضاض على الآخر فتظهر مخالبهما القوية المستعدة للإفتراس، وذيلهما المرفوع دلالة على الاستعداد للتغلب على الخصم، كما يظهر فى الجزء العلوي من اللوحة **غزال وأرنب** وهما يجريان وسط الحقول فى خفة وحركة ونشاط، كما نرى في اللوحة أيضا طائران يقفان على الغصن[1].



(شكل ١١)

فسيفساء الأسدين بتونس

(1) M'hamed Hassien Fanter, op. cit., p. 107

المبحث الثاني: الفسيفساء في ليبيا

اكتشفت فى منطقة تريبوليتانيا بليبيا العديد من نماذج الفسيفساء الرومانية، وهى تعكس نوعا من الثقافة الهلينستية، لذلك لم يكن من الغريب العثور على رسومات هلينستية تحيط بجو الفسيفساء الأفريقيا وليس أدل على ذلك من فسيفساء طرابلس.

وتعتبر ليبيا من أغنى المناطق فى شمال أفريقيا فى إمتلاكها لأرضيات الفسيفساء ذات الموضوعات الكثيرة التى تمثل جميع أوجه الحياة العامة مثل الحياة الإقتصادية خاصة الزراعة والصيد البحرى، والحياة الاجتماعية خاصة أعمال اللهو والترفيه، بالإضافة إلى ذلك نجد موضوعات تمثل الأساطير الإغريقية الرومانية، ونجد لوحات فسيفسائية فى غاية الروعة والإتقان موزعة على العديد من المدن الليبية القديمة مثل أبولونيا "سوسة" وقوريني "شحات" وقصر ليبيا، وطلميثه، وتوخيرا "توكرة" ويوسيبيريدس "بنغازى" وزليتن ولبدة وتاجوراء واويا "طرابلس" وصبراته[١] .

وتعتبر اللوحات الجميلة المعروضة بالمتحف الجماهيرى بطرابلس من أحسن النماذج ويظهر على معظم هذه اللوحات تأثير مدارس الشرق لصناعة الفسيفساء خاصة مدرسة الإسكندرية، ففى اللوحات التى جلبت من مدينة زليتن وبالتحديد من "دار بوك عميره" نرى فى إحدى اللوحات منظر يمثل الفصول الأربعة، ومنظر آخر يمثل أوراق الأكانثوس، ومناظر لبعض الطيور والحيوانات البرية المختلفة.

وتوضح هذه اللوحات الجميلة مدى تأثر الرومان بالطبيعة الشرقية، ونلاحظ أن معظم اللوحات التى جلبت من مدينة لبدة وضواحيها تمثل مناظر للصيد ، خاصة صيد الحيوانات البرية المتوحشة كصيد الحمار الوحشى، وصيد الأسود ، ونجد لوحات أخرى تمثل النيل وهو من الموضوعات المأخوذة من مدرسة الإسكندرية لصناعة الفسيفساء ، وعمليات تعظيم النيل وتصويره بطرق مختلفة كان من العادات المتبعة لدى سكان منطقة وادى النيل فى العصور القديمة ومن خلال معظم لوحات الفسيفساء تلك نلاحظ أن الشرق قد طبع الغرب الرومانى بطابعه الشرقى ، ويتضح ذلك بكل وضوح فى إنتشار أسلوب مدرسة الإسكندرية فى فن الفسيفساء فى صقلية وروما[٢].

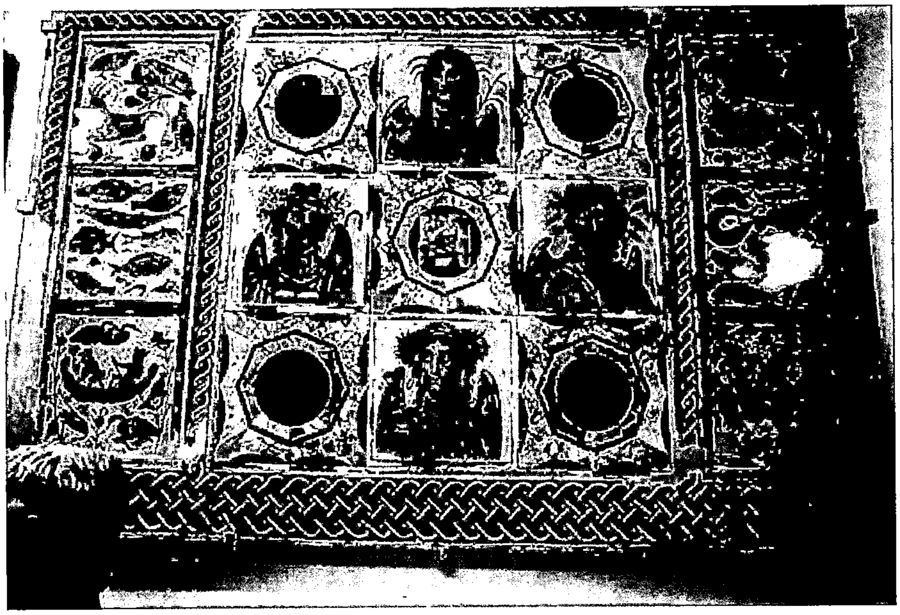
وقد عثر فى فيلا بوك عميرا بزليتن الواقعة بالقرب من مدينة طرابلس على ٢٤ قطعة فسيفساء من النوع الدقيق المسمى emblemala، وقد نفذت هذه النماذج على بلاطات فخارية من نوع terra cotta[٣].

١ – فسيفساء الفصول والمناظر النيلية:

وتوجد هذه اللوحة (شكل١٢أ) فى زليتن بليبيا، ومحفوظة الآن بمتحف الآثار بطرابلس، وتؤرخ بحوالى ١٠٠ ميلادية، وهى مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها ٣٣٣× ٢٣٠ سم، والمنظر الرئيسى فى اللوحة عبارة عن تشخيص لفصول السنة الأربعة وذلك من خلال صور نسائية مختلفة الملامح والصفات حيث تعكس كل واحدة منهن فصلاً من فصول السنة الأربعة، وحول المنظر الرئيسى ستة تابلوهات ويحتوى كل تابلوه على مشهد من مشاهد الحياة الطبيعية سواءا الريفية أو البحرية[٤].

---

(1) Dunbabin, K. M. D "Mosaics of the Greek and Roman world", Cambridge University Press,1999 PP 119-124
(2) Mau , August ., Pompeii , its life and art , London 1899 , p.239
(3) Henig. Martin ., A Handbook of Roman Art , Phaidon 1983 , pp. 117 - 124
(4) agnat , Rene ., Une mosaique de carthage , paris 1898 , pp.1-15



(شكل ١٢أ) فسيفساء الفصول من زليتن

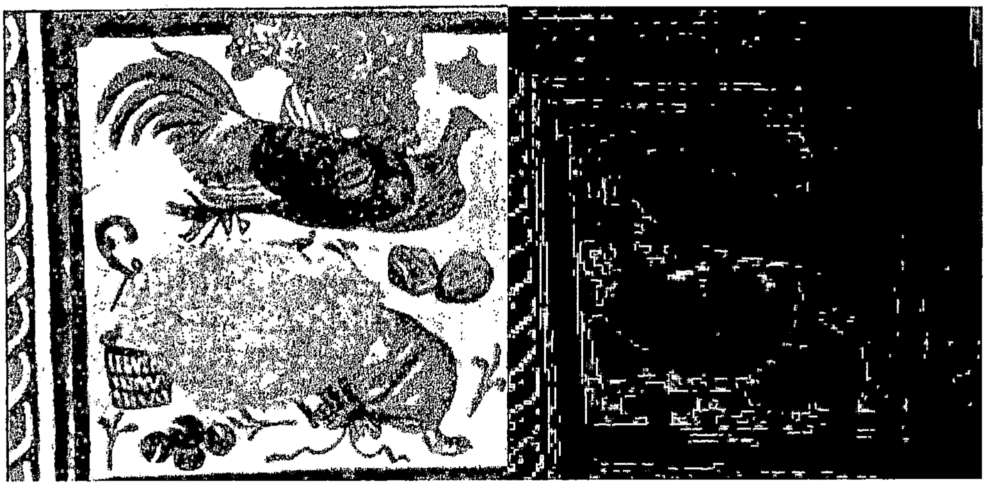
ومن هذه التابلوهات تابلوهات بها مناظر للحيوانات البرية وهى التى سنفرد عنها الحديث هنا وهي:

التابلوه العلوى من اليمين (شكل١٢ب) ونرى فيه مناظر من الحياة الريفية حيث **تظهر حيوانات برية أليفة وطيور**من تلك التى شاع استخدامها فى حياته اليومية والتى يعتمد عليها فى أعمال الحقل والفلاحة، فتظهر **عنزة أو جدى** وقد يكون **بقرة**، بالإضافة الى بعض الطيور التى لا غنى عنها كالبط والدجاج وديكا روميا كبيرا، ولم يتبق من هذه اللوحة إلا مؤخرتها .

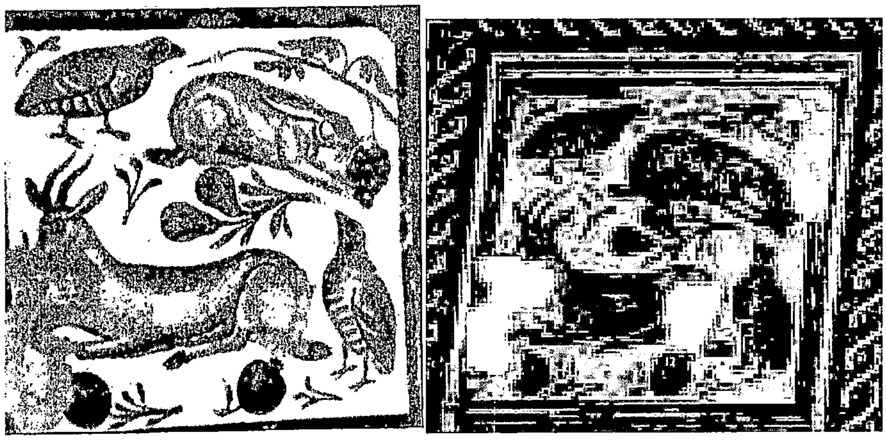
أما التابلوه العلوى على اليسار (شكل١٢ج) فيصور بعض الطيور كطائر القطا وطائر الدراج ويميز شكلها بالجسم الثمين المستدير وقد أبدع الفنان فى تصوير هذه الطيور بألوانها البديعة، كما تظهر **ماعز** فى هيئة استرخاء بين أحضان الطبيعة بجوار بقية الطيور والحيوانات الخاصة بالحقل حيث يعيشون كلهم مع بعضهم البعض في حياة هادئة وسلام ووئام، وتظهر هذه العنزة بقرونها الواضحة وجسمها الرشيق القوى مما يدل على اهتمام الراعى أو الفلاح بها، كما يظهر **أرنبا بريا** أعلى الماعز جهة اليمين ولكن حجمه كبير ويبدو وكأنه يخفض رأسه ليلتقط شيئا من الأرض، ويتضح من شكل الأرنب أنه أرنبا بريا وقد كان الفنان على دراية به(١).

---

(١) عبير قاسم، مرجع سابق، ص ٣٦٢- ٣٦٣.



(شكل ١٢ب) فسيفساء الفصول (التابلوه العلوى الأيمن)



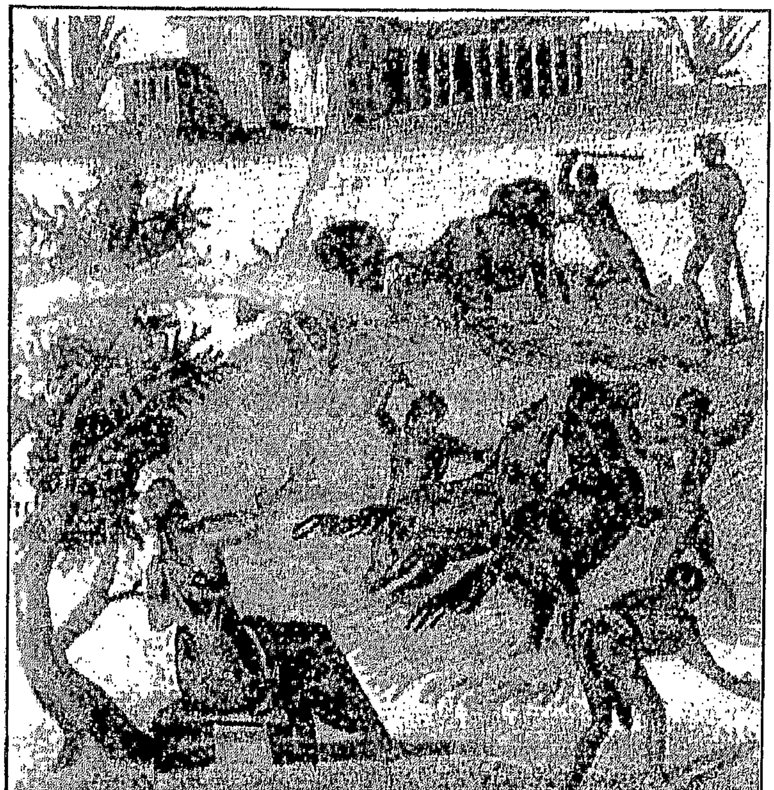
(شكل ١٢ج) فسيفساء الفصول (التابلوه العلوي الأيسر)

٢- فسيفساء دارس الغلال بزليتن(*):

توجد فسيفساء "دارس الغلال" (شكل ١٣) في "دار بوك عميرا" بزليتن بليبيا، وتؤرخ ما بين ٥٠، ٧٥ ميلادية، ومحفوظة الآن بمتحف طرابلس، ويبين المنظر دارس الغلال وهو يقف على مسافة من الدار التى نراها فى الجزء الخلفى من الصورة، وتظهر الأرض مغطاة بالحبوب ويشرف رجل على سير العمل، كما نجد رجلا آخر يسوق بعصاه **زوجا من الثيران** اللذان يسيران ببطء وبدون رغبة على الدراس، ويمسك فى الطرف الآخر رجلان **بحصانين** يرفسان ويثبان ويسوقاهما فوق أرضية الدراس، والصفة الواضحة على هؤلاء الرجال جميعا هى ملامح القوة والجسم الرشيق المفتول العضلات وتتراوح أعمارهم ما بين العشرين والثلاثين عاما عدا الوكيل الذى يكبرهم فى الغالب بعشر سنوات(١).

(*) مدينة زليتن تقع على الساحل الغربي لليبيا، على مسافة ١٥٠ كم تقريبًا شرق العاصمة طرابلس، تحدها من الغرب مدينة الخمس، مصراتة شرقاً، بني وليد جنوبًا، والبحر المتوسط شمالاً. بلغ عدد سكانها حسب إحصاء ٢٠٠٦ حوالي "١٨٤ ألف" نسمة، ووفقا لأخر إحصاء (٢٠١٢م) طبقا للسجل المدني فإن عدد سكان زليتن هو "٢٣١ ألف" نسمة واشتهرت المدينة بكونها المركز الأبرز في البلاد لتعليم الفقه المالكي وتحفيظ القرآن في واحدة من أهم المؤسسات التعليمية في البلاد على مر ٥٠٠ عام، وهي زاوية سيدي عبد السلام.

١- رستوفتزف، المرجع السابق، ج ، ص ٢١٤ – ٢١٥.



(شكل ١٣)

فسيفساء دارس الغلال

ويسيطر على هذه القطعة من الفسيفساء اللون الأصفر واللون البنى بدرجاته واللون الذهبي، وهي ألوان متناسقة مع بعضها البعض وتوحي بالدفء والهدوء الذي يخيم على المنظر ككل.

وعلى الرغم من جدية الموضوع المصور وأهمية درس الغلال، إلا أن الفنان نجح فى أن يجعلنا نشعر بالهدوء فى المنظر بشكل عام ، وذلك على الرغم من عنف الحركة التى أظهر بها الخيول من ناحية وأيضا مشقة العمل من ناحية أخرى.

وهذه القطعة تتناول جانبا من الحياة الاقتصادية وهو درس الغلال بعد حصاد القمح، ثم حفظ الغلال، وعملية درس الغلال تتم عن طريق الثيران أو أى من الدواب القوية وهى تمر بأقدامها فوق القمح المبذور أرضا وتدوسه بحوافرها وتساعدها الخيول فى هذه العملية حتى تخرج الحبة من السنبلة وتنفصل عن القشرة الخارجية.

ويظهر فى هذه العملية أحد الرجال وهو يقود الماشية سواءا كانت **أبقارا أم ثيرانا** فنراه عاريا تماما وقد أمسك بعصا فى يده اليمنى ليهدد بها الثيران ويدفعها لمواصلة دورها وعلى ما يبدوا فإنه كان على غير رغبة منها ويتضح ذلك من خلال حركتها البطيئة، وتتميز هذه **الثيران** بضخامة الجسم والشكل القوى واللون البنى المتناسق والذى يتناغم مع درجات لون القمح المفروش على الأرض .

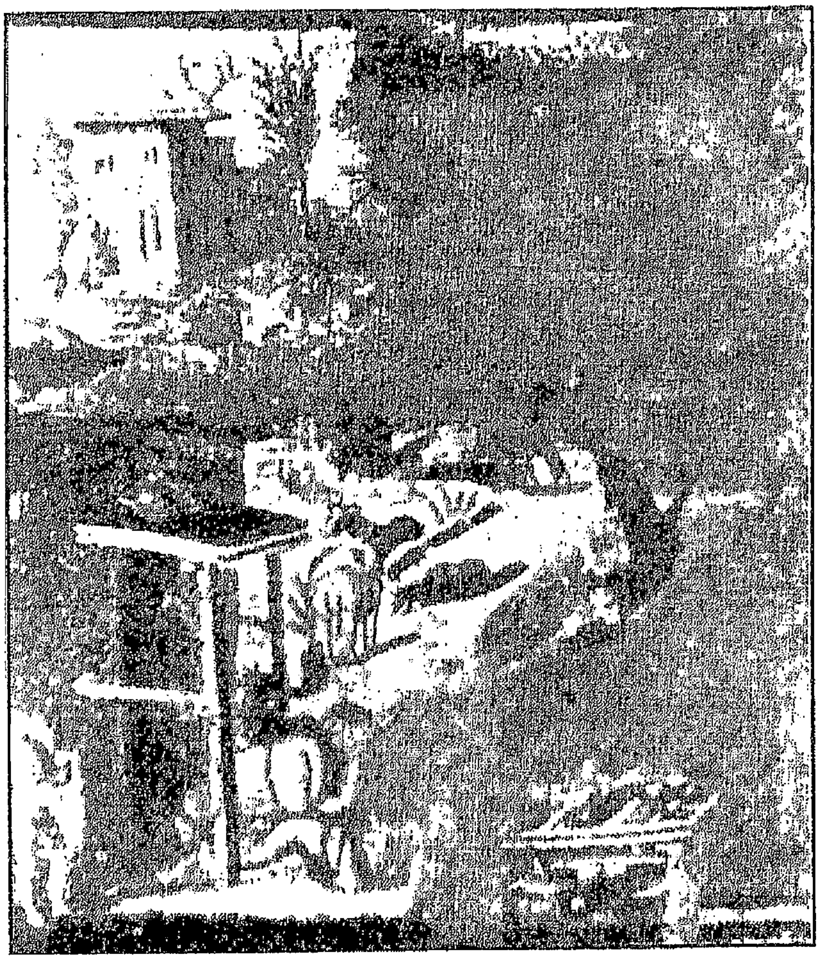
كما نرى على جانب آخر من اللوحة عاملان آخران يقومان **بقيادة حصانين** ودفعهما إلى السير فوق مكان دراس الغلال استكمالا لعملية الدرس، وقد ظهرت الخيول بلونها البنى باختلاف تدرجه بين الفاتح والداكن كما ظهر اللون البرونزى، **وتظهر على الخيول** ملامح القوة والرشاقة وهى تسير بتهدل فوق مكان الدراس، ويبدو أن

الحصان الأيمن قد هاج على فارسه ورفع أقدامه الأمامية دلالة على الغضب والثورة مما دفع قائده إلى أن يرفع عليه العصا ليهدده بل ليضربه بها.

٣- فسيفساء معمل الألبان:

وقد وجدت فسيفساء "معمل الألبان" (شكل١٤) فى أطلال الفيلا الريفية الواقعة على ساحل البحر المتوسط والمعروفة بـ "دار بوك عميرا" بزليتن بليبيا أيضا وهى محفوظة الآن بمتحف الآثار بطرابلس.

وتصور هذه اللوحة معملاً لصناعة الألبان، حيث يظهر باللوحة مبنى عبارة عن **حظيرة خاصة بالأغنام والماعز** وأمام هذا المبنى مبنى آخر به إمفورات تحتوى على اللبن، كما نجد أحد الرعاة وهو **يحلب عنزا** فى هدوء وعلى مقربة منه ترعى **الأغنام والماعز**(١).



(شكل ١٤)
فسيفساء معمل الألبان

(1) Rostovtzeff, M ., The Social & Economic History of the Roman Empire, Oxford 1957 , Vol. 1, pp. 312- 313

وهذا المنظر يسيطر عليه روح الهدوء والسكينة، وهذه الأشجار المرتفعة وكذلك الأعشاب المتناثرة هنا وهناك فى المنظر تضفى عليه رونقا وجمالا وتزيد إحساسنا بالجو الريفي.

ولهذه اللوحة أهميتها وجمالها وذلك لما تعكسه من منظر طبيعى جميل وهو **رعى الماعز** وحلبها بالإضافة إلى صناعة الألبان، فالراعى يجلس فى هدوء مشغول بعملية حلب الماعز بينما بقية الماعز ترعى بجواره ولعل كل منهن تنتظر دورها ليقوم الراعى بحلبها(١) .

٤- فسيفساء العمل الزراعي:

وقد وجدت هذه اللوحة (شكل ١٥) أيضا في "دار بوك عميرا" بزليتن بالقرب من طرابلس بليبيا، وهى محفوظة بمتحف طرابلس، وهى تصور عملا زراعيا حيث تعمل بعض النسوة فى تسوية الأرض تمهيدها لإعدادها للزراعة وفى الجزء الخلفى من الصورة نجد دارا(٢) .



(شكل ١٥)

(١) حمدي إبراهيم، الأدب السكندري، القاهرة ٩٨٥، ص ١٥٧.

(٢) رستوفتزف، م .، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ص ٢١٦-٢١٧.

فسيفساء العمل الزراعي

وتضم هذه اللوحة ثلاث فئات من البشر هم: سيدة الوكيل ثم النسوة، ثم الأطفال، واحدى هؤلاء النسوة تكاد تقترب من **الغزال الشارد** والذي يظهر وهو خافض الرأس ومنحنى إلى الأمام وذلك ليلتقط عشبا أو كلأً بما يوضح أنه يرعى بحرية ودون رقيب أو راع حيث لا نجد بجواره أحد، ولعل الفنان قصد أن يشيع جوا من البيئة البرية المتوحشة مع الجو الزراعي، كما يظهر بجوار الطفلين **رأس حيوان قد يكون رأس أرنبا بريا.**

وعدد النساء اللاتى يظهرن باللوحة ثلاث نسوة فلاحات حيث تقف اثنتان منهن أمام إمرأة الوكيل، بينما تظهر الثالثة وهى بعيدة عنهما بعض الشيء وتكاد تقترب من الغزال الشارد الذى يقف وهو خافض الرأس منحنى إلى الأمام ليلتقط عشبا أو كلأ.

وجو اللوحة مليء بالسكينة والهدوء والذى يميز دائما البيئة الريفية البسيطة، كما تضفى البهجة والسرور فى نفس المشاهد وتجمع بين المنظر الطبيعى والعمل الريفى الزراعى.

٥- فسيفساء المصارعة الدموية:

وقد أكتشفت هذه الفسيفساء *(شكل ١٦ أ)*التي كانت تزين أرضية "فيلا دار بوك عميرة" في زليتن، وهي تعود إلي القرن الثاني ميلادي.



(شكل ١٦أ)

فسيفساء المصارعة الدموية بزليتن



(شكل ١٦ب)

فسيفساء المصارعة الدموية بزليتن

وتمثل هذه اللوحة الفسيفسائية مشاهد حقيقية دموية لمصارعين، إحدهما تصور مصارع منهك ذو بشرة برونزية بعد تغلبه علي مصارع أخر، وتصور أيضا عملية إعدام لشخص قد يكون مجرم أو أسير حرب، ومشهد أخر لصراع بين **دب** و **ثور**، حيث كانت المصارعة تحدث في فترة بعض الظهر(١).

كما يصور جانب من هذه الفسيفساء (شكل ١٦ب)عملية **صيد الحيوانات البرية** حيث نرى صيادين **وكلابهم وهم ينقضون على غزال وبقرة وحشية وحمار من النوع الوحشى وعدد من النعام**، وفى جانب آخر يظهر **ثور ودب** وقد ربطا إلى بعضهما البعض وهما يتقاتلان حتى الموت، وعلى العموم فإن موضوعات هذه الفسيفساء لم يقتصر على عمليات صيد الحيوانات المفترسة فحسب، بل إن موضوعاتها كانت تشتمل على مبارزات كانت تجرى بين الحيوانات المفترسة والآدميين، حيث نلاحظ فى نفس الفسيفساء السابقة منظر يمثل بعض المساجين وأسرى الحرب المساكين وهم يُقدمون للحيوانات المفترسة، حيث نلاحظ **نمرا** يستعد للانقضاض على فريسته البشرية، وفي منظر آخر يبدو أحد حراس الحلبة وهو يجر أحد الأسرى من شعره نحو **أسد ضار**، ولم تكن تلك الفسيفساء تمثل تلك المبارزات المروعة فحسب ، بل أنها كانت تصور الصراع بين الآدميين أيضا ، ففى أحد جوانب تلك الفسيفساء يظهر أشخاص مسلحون بأنواع مختلفة من الأسلحة، حيث تقوم المبارزات بين هؤلاء الأشخاص على أنغام الموسيقى، وقد كان من عادة هذه المبارزات أن المهزوم يرفع يده اليسرى كناية عن استسلامه، وفيها يكون الحكم أهم شخصية من بين الحاضرين، حيث يكون حكمه هو القرار الفاصل فإما الموت أو الحياة، وقد كانت هذه القرارات عادة وفق رغبة المتفرجين ، فإذا رفع الحكم إبهامه الأيمن إلى أعلى يعنى ذلك الإبقاء على حياة المهزوم، أما إذا أشار بإبهامه إلى أسفل فيعنى ذلك أن على المنتصر أن يقضى على خصمه.

٦- فسيفساء عازف القيثارة مع كلبه:

وتوجد بمتحف الفسيفساء بطرابلس بليبيا، حيث يظهر عازف القيثارة تحت شجرة وهو يقوم بالتلحين (شكل ١٧)، ويظهر كلبه منتبها ناحيته وكأنه مسحور بتلحين صاحبه، وكأن هذا التلحين سحر الكلب فظهر مشدوها.

(1) M'hamed Hassien Fanter ., op , cit., p.25.

وبالرغم من تناسق الألوان باللوحة إلا أنه يتضح بها عدم التناسب فى الأحجام حيث ظهرت الأحجام باللوحة غير متناسقة وغير متناسبة مع بعضها البعض فقد ظهر عازف القيثارة كبير الحجم بالنسبة للشجرة التى يجلس تحتها حتى ظهرت وكأنها أصغر منه، كما أن الكلب ظهر صغيرا جدا بالنسبة لصاحبه بالرغم من أن ملامحه تقول أنه كلب كبير وليس صغير.



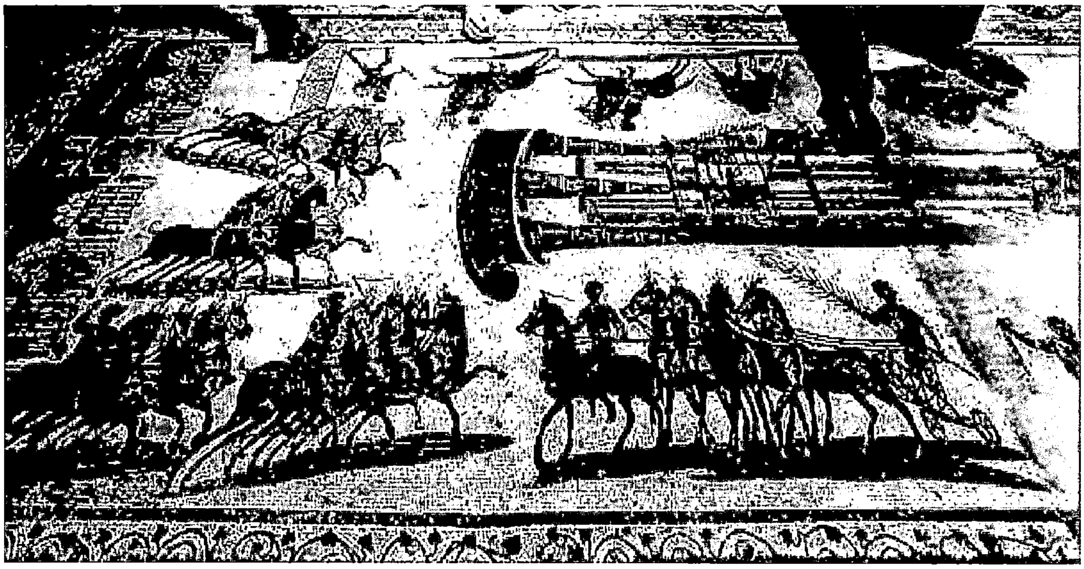
(شكل ١٧)

فسيفساء عازف القيثارة مع كلبه

وبشكل عام فإن لوحات الفسيفساء التى عثر عليها فى زليتن تعتبر أقدم نماذج لطراز خاص بأفريقيا، فهي تبين أنواع المزارع والدور المتعددة التى كانت منتشرة فى جميع نواحى أفريقيا، كما تشير أيضا إلى طبيعة الأعمال الزراعية التي كان يقوم بها الفلاحون حول الدار الرئيسية[1].

(١) رستوفتزف، مرجع سابق، ج٢، ص ٢١٧.

٧- فسيفساء سباق العربات بفيلا سيلين:



(شكل ١٨)

سباق العربات بفيلا سلين- ليبيا

وهذه اللوحة (شكل ١٨) معروضة حاليا بفيلا "سيلين" غرب مدينة لبدة، وهى تصور سباق العربات داخل إحدى حلبات السباق، ربما تكون حلبة سباق مدينة لبدة، ويبدو فى هذا المشهد مجموعة من العربات كل عربة تجر بواسطة مجموعة من **الخيول**، وكل عربة تتميز بلون معين يختلف عن الأخرى، عادة يكون الأزرق والأبيض والأخضر والأحمر، ويلاحظ فى هذا المنظر وجود أكثر من أربع عربات ووجود الكثير من الفرسان الذين يمتطون **الخيول الفردية**، ووجود الكثير من الرجال ينتشرون داخل حلبة السباق، وهذا الأمر يجعلنا نعتقد أن السباق وصل إلى نهايته ولذلك كثر الخارجين والداخلين إلى حلبة السباق.

وكان سباق العربات فى العهود القديمة خاصة في العهد الرومانى يثير روح الإنفعال والحماسة لدى المتفرجين، الذين كانوا ينقسمون إلى أربع مجموعات من المشجعين يأخذون ألوان العربات المتسابقة، وتعتبر هذه اللوحة الجميلة المعروضة بفيلا سيلين من الوثائق الهامة فى مجال العمارة، والتي عن طريقها استطعنا التعرف على التفاصيل المختلفة التى تتكون منها حلبة سباق مدينة لبدة، واستطعنا التعرف أيضا على طريقة البناء والأجزاء المختلفة التى تتكون منها حلبات السباق التى شيدت فى العصر الرومانى.

المبحث الثالث: فسيفساء ولاية نوميديا (الجزائر)

نوميديا هي فى الأصل بلد "نوميداي" وتقع جنوب وغرب الأراضى القرطاجية، وهي الجزائر حاليا، وقد وجد بها عدد من لوحات الفسيفساء وسنذكر منها هنا فسيفساء شرشال.

فسيفساء شرشال(*):

وهى عبارة عن لوحة فسيفسائية تصور المناظر الزراعية (شكل١٩) وهى من منطقة شرشال بـ "نوميديا" بالجزائر حاليا، وهي تؤرخ بالفترة الأولى من القرن الثالث الميلادى حوالى عام ٢٠٠ الى ٢١٠ ميلادية، وتبلغ مساحتها ٤.٩ متر × ٣,٠٠متر، وهي حاليا محفوظة فى متحف مدينة شرشال.

وتعد هذه القطعة من أمتع الصور عن الأنشطة الزراعية، فهى تعكس من مشاهدها العلوية عملية حرث، وبذر البذور، وفى مشاهدها السفلية تصور عملية خدمة ورعاية مزارع الكروم في فصل الشتاء، وتنقسم إلى قسمين أساسيين: الأول يتناول عملية حرث وبذر الأرض، وهى بدورها مصورة من خلال صفين أفقيين، أما الجزء السفلى فيصور زراعة الكروم وهى أيضا من خلال صفين أفقيين(١).

والمشهد الأول يتناول عملية حرث الأرض وذلك بين أشجار الزيتون، ففى القسم العلوى نرى اثنين من الفلاحين بثيابهم السميكة وأحذيتهم الطويلة، وهذان الفلاحان أحدهما يتقدم المحراث الخشبى الذى تجره **بقرتان قويتان** بقرونها القصيرة، بينما نرى الفلاح الآخر وهو يمشى من ورائهما ليراقب عملية الحرث نفسها ويساعد فى دفع المحراث مع الأبقار تماما مثلما يحدث فى الطبيعة وحتى عصرنا هذا، وهذا المحراث **تجره بقرتان** يبدو أنهما يقومون بالعمل على غير رغبة منهما، والفلاح الذى يتقدم الأبقار والمحراث ونجده وقد رفع زراعيه ممسكا بعصاه ليهدد بها الأبقار تارة ولينفذ تهديده ووعيده تارة أخرى إذا ما أصرت على الكسل وامتنعت عن السير وأداء عملها، أما الفلاح الثاني الذي نراه يسير خلف المحراث فنرى انحناءة ظهره إلى الأمام مما يدل على معاناته.



(شكل ١٩) فسيفساء شرشال بالجزائر

(*) كانت شرشال مدينة فينيقية تسمى بـ (إيول) وأزدهرت المدينة في عهد القرطاجيين ويعتقد الكثير من العلماء أن شرشال كانت مستعمرة مصرية في منتصف الألف الثانية ق.م (١٥٠٠ ق.م) ربما قبل العهد الفينيقي وذلك يعود لأكتشاف تمثال مصري في شرشال عليه خرطوشة الفرعون تحتمس الأول (١٤٩٣-١٤٨٢ ق.م) موجود في متحف المدينة وهو تمثال منحوت من البازلت الأسود وجلسته جلسة الألوهية مصرية.

(١) المنجى النيفر، مرجع سابق ، ص ص ٣٢-٣٤.

ونرى بالجزء الثاني بهذا المشهد محراثاً آخر يجره **ثوران** يتضح عليهما مظاهر القوة، فنرى حركة أرجلهم القوية المرفوعة وهما يجران المحراث فى قوة وثبات ومن خلفهما يظهر فلاحا بعصاه يراقب عملية الحرث.

كما نرى على اللوحة أحد الفلاحين وهو يقوم بعملية الحرث حيث يتقدم **ثورين**، ونرى فى عنقه مقطف من السعف يأخذ منه القمح ويبذره لتستكمل بعد ذلك **الثيران** عملها فتطأ وتدوس بحوافرها فوق البذور فتتوغل فى التربة وتنغرس فيها ومع الرى بالمياه تنبثق الثمار (١) .

وتعكس لنا اللوحة اعتماد الفلاح على كل من **الأبقار والثيران** فى أنشطة الزراعة المختلفة، وقد كان ظهور هذه الحيوانات فى اللوحة أمرا طبيعيا **فالثور الوحشي** كان موجود بكثرة في أفريقيا، وقد كان للثور أهمية كبرى فى الحياة فى أفريقيا بوجه عام فقد كانت له مهابته بسبب قوته الشديدة وقرونه المدببة، وكانت الأعمال تكاد تكون مقسمة بين الماشية، فالأبقار تجر المحراث، وأحيانا كان القطيع من **الأبقار والثيران** يسير فوق حزم الغلال لفصل الحبوب عن القشور (٢).

وبصفة عامة فإن جو لوحة الفسيفساء هذه يسيطر عليها روح الهمة والنشاط التى تبدو واضحة من خلال عمل الفلاحين والحراثين، الذى يعمل كل منهم عمله دون استرخاء أو إهمال.

كما أن هناك عدد من اللوحات الفسيفسائية التي تمثل الحياة الاقتصادية حيث يوجد العديد من اللوحات التي تمثل الحياة "الريفية"، وعمليات صيد الوحوش البرية وعمليات الصيد البحرى، كتلك اللوحة الفسيفسائية الموجودة بمتحف شهبا، والتي اكتشفت في عام ١٩٦٣ قرب حمامات شهبا، مع لوحات أخرى تمثل كما يظهر بالشكل الأساطير اليونانية وحيواناتها الخرافية.

المبحث الرابع : الدراسة التحليلية

وبعد دراسة عدد من لوحات الفسيفساء بشمال أفريقيا فى كل من تونس وليبيا والجزائر نستطيع القول إن صانع الفسيفساء في أفريقيا قد برع فى التعبير عن موضوعه الذي يريد تنفيذه، لذا فإننا نلاحظ البساطة والدقة في أسلوبه، بالإضافة إلى أنه قد راعى أثناء عمله الإختلاف بين شعب إيطاليا وبين شعوب أفريقيا وتنوع ثقافاتها، حيث أن إختلاف الشعوب يؤدى إلى إختلاف الذوق مما يؤثر على انعكاسه على الفنون أيضا.

وقد لاحظنا أن أغلب لوحات الفسيفساء قد وجدت بتونس ويليها تلك اللوحات التى وجدت بليبيا ثم اللوحات التى وجدت بالجزائر، وتعتبر مجموعة الفسيفساء التونسية من أهم المجموعات الفسيفسائية في العالم الروماني سواء ما هو موجود منها اليوم في المتاحف، أو الذي لم يزل بعد في الأماكن الأثرية.

وتعتبر فسيفساء "ضيعة السيد يوليوس" خير مثال على المنازل الريفية التي أقيمت بمنطقة شمال أفريقيا، كما تعتبر من أبرز القطع التي عنيت بتصوير مظهر من مظاهر الحياة الإقتصادية حيث تظهر بها الحيوانات من خيول وماعز وأغنام بالإضافة إلى الكلب والأرنب، وكان لكل حيوان منهم دوره فى المشـهد.

ومن خلال لوحة فسيفساء "منزل أحد المزارعين بطبرق" والتي تحكي عن مشاهد الطبيعة فأول مايلفت الأنظار هو السيمترية التي اعتمد عليها الفنان في ايجاد كل كائن من الكائنات التي أوجدها في المنظر واحد عن

---

(١) عبير قاسم، مرجع سابق، ص ٤٠٢- ٤٠٤.

(٢) جورج بوزنز وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة : أمين سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢، ص ٢٢٤.

اليمين ويقابله آخر على الشمال، وهذا بالرغم من أن الفنان لم يكن مجيدا في المنظور حيث ظهرت الكائنات كلها بحجم واحد ولم يراعى الفنان الفروق فى الأحجام ، ولم يكن هذا هو منهج كل الفنانين فقد ظهرت نسب الأحجام واضحة إلى حد كبير فى اللوحة الفسيفسائية التي يطلق عليها "غازلة الصوف" وهذه اللوحة لها أهمية كبيرة فى أنها تظهر زراعة الكروم وأشجار الزيتون وتربية الخيول والأغنام.

وقد ظهرت الحيوانات من خيول وقطعان الأغنام والكلاب وغيرها في لوحة "دار ريفية من أوذنة" وهي مفتولة الأعضاء قوية ، ومما يميز هذه اللوحة أن الفنان قد عمد على ترتيب المشاهد المراد تصويرها فى سطور أو صفوف مركبة، وقد ظهرت هذه الطريقة فى أفريقيا لأول مرة، وهى عبارة عن منظر رئيسى وحوله المناظر الفرعية.

أما لوحة "أورفيوس من أوذنة" والتي تُظهر أورفيوس وهو يلحن ويغنى وحوله الحيوانات والطيور تستمع إليه وهي مسحورة ومشدوهة، فهذه اللوحة تعتبر من أشهر القطع فى هذا الموضوع، فهى الأكثر شعبية وانتشارا، وقد حاول الفنان تحقيق السيمترية إلى حد كبير فى اللوحة حيث نجده قد صور عدداً من الحيوانات على اليمين يساويها عدداً آخر من الشمال، بالإضافة إلى أنه قد صف الحيوانات فوق بعضها وكل واحد منهما يقف على ما يشبه القاعدة .

وقد كان الفنان دقيقا فى فنه حينما أظهر الحيوانات وهى قوية المخالب مفتولة العضلات وخاصة فى تلك اللوحات التي كانت تعبر عن السباق أو المصارعة بين الحيوانات وقد ظهر ذلك واضحا فى لوحات "سباق الخيل من سوسة" و"المصارعة بين الحيوانات بسوسة" و"لوحة الأسدين " حيث أظهرت هذه اللوحات صورة الخيول والأسود وهى قوية شديدة تكاد تفترس من أمامها وهذا مما يدل على مناسبة الموضوع الذى أراد الفنان إظهاره من خلال تلك اللوحات .

وتعتبر اللوحات الجميلة المعروضة بالمتحف الجماهيرى بطرابلس من أحسن نماذج لوحات الفسيفساء بليبيا ، ويظهر على معظم هذه اللوحات تأثير مدارس الشرق لصناعة الفسيفساء خاصة مدرسة الإسكندرية، ففى اللوحات التى جلبت من مدينة زليتن وبالتحديد من "دار بوك عميره" نرى فى إحدى اللوحات منظر يمثل الفصول الأربعة، ومنظر آخر يمثل أوراقا لأكانثوس، ومناظر لبعض الطيور والحيوانات البرية المختلفة؛ فهناك اللوحات التى تحدثنا عنها مثل لوحة "الفصول والمناظر النيلية" ولوحة "دارس الغلال" ولوحة "معمل الألبان" ولوحة "العمل الزراعى" وجو هذه اللوحات ملىء بالسكينة والهدوء والذى يميز دائما البيئة الريفية البسيطة، كما تضفي البهجة والسرور في نفس المشاهد وتجمع بين المنظر الطبيعي والعمل الريفي الزراعي.

وتوضح هذه اللوحات الجميلة مدى تأثر الرومان بالطبيعة الشرقية، ونلاحظ أن معظم اللوحات التى جلبت من مدينة لبدة وضواحيها تمثل مناظر للصيد، خاصة صيد الحيوانات البرية المتوحشة كصيد الحمار الوحشي، وصيد الأسود.

كما يتضح لنا أيضا أن صاحب منزل "بوك عميرا" بليبيا يختلف بطبيعة الحال عن أصحاب المنازل في مدينة بومبيى كمنزل فاون أو منزل سالوست وغيرها من المنازل البومبية ، فصاحب منزل " بوك عميرا " كان رجلاً ميالا إلى البساطة وفى نفس الوقت فخورا بضيعته وداره إلى الحد الذى أراد معه أن يصور جوانب حياته من خلال أعمال فسيفسائية تحكى عن حياته على جدران وأرضيات الدار.

وهناك من اللوحات الفسيفسائية التى وجدت في ليبيا ما يعبر عن الحياة الإجتماعية بها ، ومن أحسن النماذج الدالة على ذلك تلك اللوحات الفسيفسائية التى تمثل اللهو والترفيه والرياضة حيث تمثل تلك الألعاب التى

كانت تقام بالمسارح الدائرية "الامفتيتر" وقد كانت تلك الألعاب تقام لمجرد تسلية الرومان من خلال استعراضات مثيرة تشمل المصارعين وهم يحملون السيوف ، ومصارعى الوحوش المفترسة ، ونلاحظ فى هذا الجانب من الإستعراضات أنه كلما كانت الوحوش المفترسة غير مألوفة ، كلما ازداد سرور الجمهور .

وتعكس لنا اللوحة الفسيفسائية المسماة "بلوحة شرشال" والتى عثر عليها بمنطقة شرشال بالجزائر اعتماد الفلاح على كل من الأبقار والثيران فى أنشطة الزراعة المختلفة، وقد كان ظهور هذه الحيوانات فى اللوحة أمرا طبيعيا فالثور الوحشى كان موجود بكثرة فى أفريقيا، وقد كان للثور أهمية كبرى فى الحياة فى أفريقيا بوجه عام فقد كانت له مهابته بسبب قوته الشديدة وقرونه المدببة، وكانت الأعمال تكاد تكون مقسمة بين الماشية، فالأبقار تجر المحراث، وأحيانا كان القطيع من الأبقار والثيران يسير فوق حزم الغلال لفصل الحبوب عن القشور.

وبصفة عامة فإن جو لوحة فسيفساء شرشال هذه يسيطر عليها روح الهمة والنشاط التي تبدو واضحة من خلال عمل الفلاحين والحراثين، الذي يعمل كلمنهم عمله دون استرخاء أو إهمال.

وهكذا نرى أن فسيفساء شمال أفريقيا قد عكست بصدق الحياة اليومية في هذه المناطق مما يجعلها مرجعاً لا غنى عنه في تصور ماكان يجرى في الحياة اليومية في منطقة شمال أفريقيا خلال العصر الرومانى.

عزت زكي حامد قادوس

أستاذ الآثار اليونانية الرومانية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

المراجع

أولا : المراجع العربية:

١- المنجى النيفر، الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٦٩.

٢- جورج بوزنز وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة : أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

٣- حمدي إبراهيم، الأدب السكندري، القاهرة ١٩٨٥.

٤- عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني – المناظر الطبيعية، ماجستير في الآثار اليونانية والرومانية، ملتقى الفكر، الإسكندرية ١٩٩٨.

ثانيا : المراجع الأجنبية:

5- Agnat, Rene., Une mosaique de carthage, Paris 1898.

6- Dunbabin, K. M. D "Mosaics of the Greek and Roman world", Cambridge University Press,1999.

7- Fiorentinii R. Et Al "Mosaic materials, techniques and history" MWEV, Editions, Ravenna, Italy, 2002.

8- Henig,Martin , A Handbook of Roman Art , Phaidon 1983.

9-Ling, R. "Ancient mosaics" British Museum Press, London 1998.

10- MacKendrick, P.L,The North African Stones Speak. University of North Carolina Press, North Carolina, 2000.

11- Mau , August ., Pompeii, its life and art, London 1899.

12- M'hamed Hassien Fanter., Mosaique in Tunisie, les editions de la mediterranee , Paris 1982.

13- Raven, S. , Rome in Africa. Routledge, London, 1993.

14- Rostovtzeff, M ., The Social & Economic History of the Roman Empire , Oxford 1957.